سبعة إيقاعات لغصّة الأرض

أحمد بلحاج آية وارهام

١ يدٌ من أغانٍ

... وَقَصَّتْ سَوَالِفَ ظَامِئَةٌ

لَمْ تَكُنْ يَدُهَا غَيْرَ قَوَّارَةٍ

مِنْ أَغَانٍ، تَخيطُ مِيَاهَ الشُّرُوقِ

وَبَسْمَلَةٍ تَسْتَلِذُّ كِتَابَ الْغَبُوقِ.

٢ رحمٌ مثخنة

أَعِنِّي

عَلَى كَشْفِ أَسْمَائِهَا

فِي سَدِيمِ النِّدَاءِ،

الزَّمَانُ مَتَاهَاتُهُ انْتَفَشَتْ بِالدِّمَاءِ

ولا جَسَدٌ يَتَحَلَّقُ حَوْلَ مَآذِنِ حَدْسِي

الْفَرَاشُ يُغَادِرُ أَشْكَالَهُ

وَحْدَهُ طَائِرٌ مِنْ قُبُورِ الرُّؤَى

قَامَ فَوْقِي يُهَوِّمُ

أَطْلَقَتِ الأَرْضُ صَرْخَتَهَا كَامْرَأَةْ:

«هَا أَنَا رَحِمٌ مُثْخَنَةْ

أَتَاكَلُ

لَهْلَهَةُ النَّارِ تُسْلِمُنِي

تَارَةً لِلْبَيَاضِ الْمَهْصُورِ

وَآناً لِهَذَا الرَّمَادِ الضَّرِيرِ.»

٣ جذرٌ مقتولٌ

أَعِنِّي

عَلَى غَرْسِ جِذْرِيَ فِي تُرْبَةٍ قَتَلُوا

جِذْرَهَا

جَاءَنِي وَجْهُهُمْ

طَلْقَةً مِنْ خَبَالٍ،

تَلَهَّوْا بِرِيشِي

لِتَخْضَرَّ فِيهِمْ جِهَاتُ الشَّبَقْ

وَلَمْ تَدْرِ شَهْوَتُهُمْ

أَنَّ رِيحَ الشَّفَقْ

قَابَ قَوْسَيْنِ مِنْهُمْ

وَأَنَّ الَّتِي امْتَهَنُوهَا

سَتُلْقِي عَلَيْهِمْ سَرَابِيلَ خِزْيٍ،

تَوَلَّوْا بَكَارَتَهَا

وَهُمُ اجْتَرَحُوا الرَّجْمَ

وارْتَشَفُوا دَمَهَا

فِي كُؤُوسِ الْخِيَانَةِ.

أَيُّ طَرِيقٍ يُعَلِّمُنِي حِكْمَةَ الصَّدِّ؟!

هَذِي الْمَسَافَاتُ قَبْرٌ

وَهَذِي التَّوَابِيتُ شَمْعَتُهُ،

كَيْفَ يُبْصِرُ فِي الْوَهْمِ قَامَتَهُ

نَخْلُ مَرْحَلَةٍ

طَلْعُهُ الْمَشْأَمَةْ؟!.

٤ غيمةٌ من رياء

بَنِي جِلْدَتِي

عَمِّقُوا حُفْرَتِي

أَتَفَرَّسُ غَدْرَتَهُمْ كَالْكَوَابِيسِ،

تَأْكُلُ عَوْرَتَهُمْ غَيْمَةٌ

مِنْ رِيَاءِ الْمُحِيطِ
اسْتَرَاحُوا عَلَى رِيشِهَا
وانْدَمَيْتُ بِأَنْفَاسِهَا
مِثْلَمَا جَسَدُ الأَرْضِ،
إِنْ أَوْقَفَتْنَا الْمَرَايَا
بَكَى الْوَقْتُ فِي دَمِنَا
واسْتَعَرَّتْ جِهَاتُ الْوُجُودِ
مِنَ الشَّجَرِ الْمُتَرَهِّلِ فِينَا.
لَنَا لُغَةُ السَّوْطِ والإِنْبِطَاحِ
مَضَارِبُنَا اسْتَمْرَأَتْ ظِلَّهَا
وَلَنَا خُطْوَةٌ
تَقْلِبُ الصُّبْحَ لَيْلاً
وَتَمْشِي
وَلَكِنْ...
لِتَمْنَحَ لِلإِفْكِ
مَاشِيدَ بالدَّمِ
(وَاضَيْعَةَ الدَّمِ يُسْبَى!)
وَمَا لَمْ يَزَلْ في الضَّمَائِرِ يَحْيَى.

٥ أُفُقٌ مَدْبُوحٌ

أَعِنِّي عَلَى عَوْدَةِ الصَّحْوِ
أَسْمَاؤُنَا فَقَدَتْ نُبْلَهَا
فِي الْمَسَارَاتِ تَرْشُفُهَا
مُهَجٌ ثَمِلَهْ
بِيَدٍ فَظَّةٍ
وَشَتَائِمَ مَصْقُولَةٍ،
كَيْفَ يَسْرِي إِلَى الْكَوْنِ مِنَّا وَهِيجُ
السَّنَاءِ
وَرَائِحَةُ الْخِزْيِ تَلْبَسُنَا
ذَرَّةً
ذَرَّةً
كَفُصُولِ السَّنَهْ؟!
كَيْفَ يَشْرَبُ مِنْ أُفْقِنَا الطَّيْرُ
والأُفْقُ مِنْ عَطَشِ الرُّوحِ يَشْكُو
وَمِنْ أَوْصِيَاءَ تَغَنَّوْا بِمَنْ ذَبَحَهْ؟!

٦ عَزِيفُ الأَجْنِحَةِ

أَعِنِّي
لِنَزْرَعَ هَذِي الْبِلادَ
بِغَيْرِ الَّذِي زَرَعُوا
أَنْتَ مِيقَاتُهَا
وَالْمَوَاسِمُ
أَنْتَ لَهَا النَّبْضُ
وَالبَوْصَلَهْ،
تَلَبَّسْ بِطَقْسِ الْبَسَالَةِ
أُنْشُزْ لَهُ فِي فَضَاءِ الْحَيَارَى
عَزِيفاً مِنَ الأَجْنِحَهْ،
لِخَطْوِيَ عِيدٌ
يَتُوقُ لَهُ كَامِنُ السِّرِّ
هَاكَ دَمِي سَنَداً
وَتَوَارِيخَ مَنْقَبَتِي عَبَقاً
خُذْهُمَا
وَتَقَحَّمْ زَمَانَ الْمَهَانَةِ.
مِنْ وَجَعِ الْمَرْحَلَهْ
قَصَّتِ الأَرْضُ أَبْهَى ضَفَائِرِهَا
رَفَعَتْ خِنْجَرَ الْكِبْرِيَاءِ
وقَالَتْ لَهُ:
«لَكَ قَلْبِي
اسْتَرِحْ فِيهِ مِنِّي
وَمِمَّنْ أَضَاعُوا انْتِمَائِي»

٧ شَمَائِلُ مُورِقَةٌ

أَعِنِّي.. لِنَنْفُخَ فِيهَا الرُّوَاءْ
لَقَدْ شِمْتُ فِيكَ شَمَائِلَ
مُورِقَةً كَدَمِ الشُّهَدَاءْ.

مراكش